والإجادة فى البناء فبدا له « ناقص التكوين » ، وعلَّل ذلك بفقر الحياة الصحراوية « لقد نشأت لغة نضرة زاهرة ، فى بيئة قاحلة وسط الصحراء ! »[١٦] . فالأدب العربى فى نشوئه لم يعاصره فن عظيم كتلك الفنون العظيمة التى عاصرت حضارة « مصر القديمة» و « الهند » و « الإغريق » و « الرومان » الخ . .[١٧] وهذا تعليله لازدهار الشعر العربى ؛ فالشعر ينمو فى الخلاء ، أما النثر فيحتاج فى نموه إلى العمران .[١٨] فلما جاء العمران مع الحضارة الإسلامية وأقيمت المساجد الجميلة وشُيِّدت القصور وتقدمت الصناعات كان لا بد أن يتطور النثر العربى ولا يُبْقِى على قوالبه الفقيرة من رسائل ومقامات ، ولكن التطور جاء فى صورة الأدب الشعبى « فما ظهور الأدب الشعبى أحياناً إلا علامة قصور أوتقصير من الأدب الرسمى ، أو صرخة احتجاج على جمود الفصحاء ! ».[١٩] فإذا كان أدب الفصحى قد أنتج مقامات الحريرى وبديع الزمان ورسائل عبد الحميد وابن العميد ، فالأدب الشعبى أنتج « عنترة » و « مجنون ليلى » و « كثير عزة » و«ألف ليلة وليلة » و « أبوزيد الهلالى » و « سيف بن ذى يزن » : «ومن غريب الكسر إذا تأملت « التصميم » الفنى والبناء الروائى لهذا الأدب الشعبى ، وجدته – من حيث الفن لا اللغة – هو السائر فى الطريق الصحيح محاذياً لتلك الفنون الجديدة التى قامت بقيام الحضارة الجديدة ، فلقد كان من المستغرب حقاً أن